

اجتهادات ماذا حدث لحرية التفكير؟

أينما وليت وجهك، وفي أى اتجاه نظرت، تجد ما يؤثر في تفكيرك، أو يدفعك إلى التفكير بطريقة معينة. تكنولوجيا الاتصال التي يتسارع تقدمها صارت أحد عوائق حرية التفكير. توفر هذه التكنولوجيا مساحات هائلة ومتزايدة للتعبير. ولكن التعبير والتفكير ليسا صنوين. صحيح أن من يفكر في أمر ما يحتاج إلى التعبير عن تفكيره. ولكن المهم أن يكون هذا التفكير حرًا، أو متحررًا من سطوة ما صار تداوله على نطاق واسع مؤثرًا في الجميع إلا من رحم ربي. كما أن الأكثر تداولاً في عصر تكنولوجيا الاتصال والثورة الرقمية قد يكون ضمن الأشد تهافتًا حين تغطي الانطباعات السطحية والخطابات الموجهة على المعارف والأفكار.

وتغلق هذه التكنولوجيا مثلثًا عائقًا لحرية التفكير في عالمنا يشمل أيضًا تقاليد مجتمعية موروثة وقيودًا

سياسية0 ولكن أثر التقاليد الموروثة فى الأجيال الأحدث
صار أقل مقارنةً بتكنولوجيا الاتصال, وبالقيود السياسية
أيما توجد0

وعندما نتأمل حال حرية التفكير فى عالم اليوم بعد كل
التطور الذى حدث، أو يُعتقد أنه حصل، فى مجال
الحریات عمومًا منذ مطلع العصر الحديث، يرد إلى الذهن
سؤالٌ قد يبدو للوهلة الأولى غريبًا. هل كانت حالة حرية
التفكير أفضل فى العصور السابقة، قبل أن تُعرف المبادئ
المتعلقة بالحرية والديمقراطية وتنتشر؟

سؤالٌ يستحق التفكير بمنأى عن التتميط الزمنى الذى
يُعلى شأن حرية التفكير فى العصر الحديث، ويحط من
قدرها فى العصور التى سبقتة. ويفيد، هنا، استدعاء
نماذج مشرقة لمفكرين ومثقفين ما كان لهم أن يقدموا
إسهاماتٍ فكريةً باقيةً حتى اليوم إلا لأن تفكيرهم كان
حرًا فى أزمانٍ كان انتقالُ الفكرة فيه شديد البطء. وربما
كان هذا البطء نعمةً لأنه أتاح ظهور الفكرة وتدوينها قبل
أن تصل فى كثيرٍ من الحالات إلى مسامع من يملك سلطة
منعها. وعلى سبيل المثال فقط، تمتع مفكرون وفقهاء

وشعراء وعلماء بحرية تفكيرٍ حين كانت الامبراطوريات
الإسلامية لامركزية، والحدود بين أجزائها مفتوحة.

فهل نعيدُ النظر في الاعتقاد بأن حرية التفكير لم تزدهر
إلا في العصر الحديث، سؤالٌ يتطلبُ جوابه تفكيرًا حرًا؟